المحاضرة الثانية في مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة

السنة الثانية علم الاجتماع

النظرية الاثنوميتودولوجية

تعريف النظرية الاجتماعية.

- **''إنها نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظاهرات المتجانسة.''**
- **ويعرفها كل من جلاسير و ستراوس على النحو التالي: على أنها إستراتيجية بحثية تقدم نماذج من مفاهيم تساعد الباحث في الشرح والتفسير الاجتماعي.**

ثيودور أبيل: هي مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متسلسل ومنظم هدفها بلورة قوانين الظاهرة المدروسة.

جوزيف هايمس: هي مجموعة قضايا مترابطة بشكل منطقي موضحة جزءا من الواقع وعرفها جراهام كيلوش في كتابه: ''نظرية علم الاجتماع، تطورها ونماذجها الرئيسية باستعراض ما هو متاح في التراث من اجتهادات ومن بينها تعريف بلالوك بأن النظرية لا تشمل فقط علم الأطر التصويرية أو الأنماط المختلفة والنماذج وإنما تشمل على قضايا تشبه القوانين وتربط بين المفهومات والمتغيرات. ثم يعلق كيلوش على هذه الجهود قائلا قائلا أنها تؤكد على الجوانب المختلفة في النظرية.

براث وات تعرفها على أنها تشمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقا استنباطيا. بمعنى أنها تنتظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق ببعض الفروض المتقدمة.

باريتو: هي مجموعة احتمالات تعكس بناء العقلية البشرية التي توضح قدرة الإنسان على صياغة القوانين خاصة في التفاعل الاجتماعي المبني على العاطفة والمبرر عقليا.

العوامل المؤثرة في ظهور النظرية

-الثورات السياسية:

-الثورة الصناعية:

- درجة التحضر:

-حركة التنوير الفلسفية:

- التطور العلمي:

-التغير الديني:

الأثنوميتودولوجيا عند هارولد كارفنكل.

ظهرت الأثنوميتودولوجيا كنظرية في بداية الستينات في القرن 20 رافضة للاتجاهات الوضعية والبنائية والوظيفية. عايد هارولد كارفنكل وبالضبط في كتابه ''دراسات في الأثنوميتودولوجيا''. ولد كارفنكل عام 1918، درس على يد تالكوت بارسونز في هارفرد منح الدكتوراه سنة1952 التحق في جامعة كاليفورنيا منذ عام 1954 كأستاذ، بدأ كارفنكل يطور الأفكار التي سبقته خاصة أفكار بارسونز وماكس فيبر لجعلها في شكل يقبل للبحث والتجريب وأطلق على برنامجه لفظ ''المنهجية العرقية'' أي الميتودولوجيا التي يصفها بعلم اجتماع بديل وغير قابل للقياس، وغير مماثلة لتأكيد كونه علم اجتماع. وجاء هذا بعد مشاركة كارفنكل في دراسة للمحلفين، ولقد أثار انتباهه استخدام المحلفين غير مختصين في القانون، واعتمادهم في قراراتهم على الحس العام أي الأفكار التي تتم مداولتها عند الأفراد، وممارستهم في حياة اليومية.

والتي تمثل المعرفة الشعبية للجماعة، وقد لاحظ كارفنكل أن أحكامهم تأتي من منطلقات التي تقدمها لهم المعرفة اليومية، ومن ثم جاء تساؤلات التي أصبحت منطلق هذه النظرية ومن بين هذه التساؤلات:

- كيف يشكل الناس ويقيمون حقيقة الواقع الاجتماعي؟

- كيف يشكل الحسن العام والمعرفة الجماعية، وكيف تتبدل؟

وبناء على هذه النظرية تم تشكيل ما يعرف بالمنهجية الجامعة، ثم بدأت تبحث عن الطرق والأسس التي يتبعها أعضاء الجماعة، في فهمهم لعمليات التفاعل واختيار مسارات الفعل والقرارات وتعريفهم لمعاني الأفعال والحياة، ومن هنا بدأ الاهتمام بالحياة اليومية العادية.

يعتبر كارفنكل أن الواقع الاجتماعي، عملية ديناميكية تشكلها النشاطات الإنسانية في الحياة اليومية، أي أنه يوجد تفاعل بين الأفراد، وهذا التفاعل يؤدي إلى تصورات ومعان مشتركة لنظام الاجتماعي، كما أن وجود أكثر من تفاعل تشكل ما سماه هارولد كرفنكل بالقانون الضمني، والذي يضم مجموعة من القوانين تقيد تصرفات الأفراد وسلوكاتهم وحتى قراراتهم، فكل ما تقوم به الجماعة يعتبر أمرا مسلما به، ومن ينتهج غيره فينظرون إليه بنظرة غريبة باعتباره شيء غير مألوف، وهذا ما اعتبره هوسرل الموقف الطبيعي.

وفي هذا الصدد قام كرفنكل بتجربة على الطلب الداخليين الذين يمكثون بعيدا عن عائلاتهم وطلب منهم أن يتصرفوا بطريقة رسمية مع أهاليهم، وهذا ما أثار الدهشة من قبل أهاليهم لعدم تعودهم على هذه الطريقة. ومن هنا فإن الجماعة تشارك الآخرين في ما تعودوا عليه، بإضافة إلى ما يتماشى مع توقعاتهم، وتحديدهم لمعاني المواقف، وهذا ما جاء في كتابه ''دراسات في الأنتوميتودولوجيا'' بحيث قال فيها أن الحياة اليومية للجماعة تقوم أساسا على اكتشاف المعاني والتصورات التي كونتها الجماعة عن الحياة، وإن تفاعل يجعل من المعاني والتصورات قاعدة معرفية وحسا عاما مشتركا، وعندما تتشكل هذه الأخيرة تصبح إطارا مرجعيا للجماعة أي أن هناك تصرفات معينة لمواقف معينة، وفي أماكن معينة فأحكام الإنسان ترتبط بهذا الإطار المرجعي.

والخبرات ومعرفة للجماعة التي ينتمي إليها أي أن الفرد مجبر بكي يعود إلى خبرات الحياة اليومية، وبالتالي يهتم بجماعة وتوقعاتها، وبهذا اختلف كارفنكل مع بارسونز باعتبار هذا الأخير أن عقلانية الفعل مرتبطة بالمعرفة والمنهجية العلمية معملا المعرفة التي يكتسبها الفرد باحتكاكه بالجماعة وبالتالي فإنه يرى أن هذا الافتراض من

بارسونز لا يتفق مع واقع الحياة، وإنه يرى أن من الأصح أن يكون تحليل الفعل على أساس المعرفة الحقيقية للفاعل أي معرفة الجماعة، ومن هنا يجب عليه أن يركز على الطرق التي يقوم بها الفاعلون في تشكيل وإنتاج وإعادة إنتاج البناءات الاجتماعية، أما عمليا فإنه يكون هناك انسجام وتنظيم في إطار الجامعة، لأنه هناك معرفة بأفعال التي يريدون القيام بها، فهم يشاركون فيها، فجماعة لها معرفة حقيقية للواقع اجتماعي، ومن بين هذه الأشياء التي تساهم في هذا التنظيم والتي تعتبر عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه في التفاعل فهي اللغة وهنا يتخذ كارفنكل موقفا مغايرا لما كان متعودا عليه بحيث أنه لا يدرس القيم الأخلاقية المشتركة كأساس لهذا النظام، وإنما يقوم بالبحث الدقيق عن بناء الفعل الاجتماعي في ثنايا اللغة – لغة الحديث اليومية- كوسيط للتفاعل الاجتماعي، كما أنه بحث في العلاقات المعقدة بين التفكير والعقل ويربط بينهما في عملية المحادثة بين الأفراد، وكيف يستطيعون إيصال ما يريدون للآخرين. فاللغة تعبر عن حقيقة الواقع وتساهم في تشكيل حقيقة هذا الواقع، ومن هناك بدأو يهتمون بالحديث وما ينتج عنه من تصرفات وما يبرز فيها من مستجدات، وهي في وضعها الطبيعي وليس المصطنع، ومن ثم فإنهم يركزون على الكلام، بإضافة إلى الانتباه والاستماع. ومن هو أكثر تركيزا في الكلام، وملاحظة حركات اليد، الأصابع، الكف، الشرود الذهني، الحركات التي يقيمون بها أثناء التحدث ودرجة تحديق العين...الخ

ولا تكتفي بهذا الحد فقط وإنما تذهب للبحث عن كيفية تولد الاستحسان عند المستمع، وما هي التركيبة اللغوية والتعبيرية، فهل تمثل البلاغة والوضوح؟ وهل يتم الاعتماد على القصص أثناء الحديث، وهل تؤدي إلى التركيز، هذا النوع الأول من المحادثة، أما النوع الثاني فيتمثل في المحادثة بين الفردين لا يرى أحدهما الآخر هذا يساعد على استرسال المحادثة، لأنه لا يتم تأثر بالعوامل التعبيرية، ولكنه يتأثر بأصوات وحركات التي تحدث أمامه، مثل صراخ الأطفال. كما أن كارفنكل على التعبير،وقال هناك نوعين من تعبير وهما التعبيرات الدالة، وتعبيرات الموضوعية النمطية تشير الأولى إلى موضوعات وأشياء وأشخاص في الحالة الفردية، أما الثانية فتدل على فئات ومجموعات النمطية، وبهذا تستخدم في تصنيف الواقع والتوصل إلى التعميمات، وخلاصة فإن كارفنكل

ركز على الحياة اليومية ويسعى إلى فهم المواقف الاجتماعية، كما هي وكما تزهر للأفراد، ويستخدم كارفنكل مناهج الفطرة السليمة والبرهنة والحادثة أو بعابرة أخرى يستخدم ما يطلق عليه الأثنوميتودولوجيا في استخلاص وصياغة قضايا نظرية.

ثالثا: الإثنوميتودولوجيا عند إرفنغ مانويل كوفمان.

ولد إرفنغ مانويل غوفمان في مانفيلب ألبرتا في كندا في 11 جوان عام 1922، وكانت أسرته من اليهود الأوكرانيين، درس الكيمياء، ثم عمل لصالح هيئة القومية للأفلام في أوتاوا، قبل قراره البدأ في الحصول على درجة في علم الاجتماع من جامعة تورنتو، حيث تخرج عام 1945م ثم انتقل إلى جامعة شيكاغو، وفيها درس علم الاجتماع على يد إيفرت هيغ، ثم انتقل في منتصف الخمسينات إلى واشنطن العاصمة، ثم التحق غوفمان بقسم علم الاجتماع في جامعة كاليفورنيا 1957، ترقى حتى أصبح أستاذا متفرعا عام 1962.

ومن أهم أعماله:

1959 نشر كتاب The présentation of self in everyday life ثم أصدر كتاب المصحات، ثم كتاب "Stigma"، وأيضا التفاعل الاستراتيجي، وكما اهتم بعلم الأعراق البشرية، ودراسة سلوك الحيوان.

توفي كوفمان في نوفمبر 1982 بعدما ألقى خطبته الرئيسية أمام الجمعية السوسيولوجية الأمريكية، في ورقة سميت "نظام التفاعل".

يعتبر كوفمان المسرح نموذجا لفهم الحياة اليومية وهذه الطريقة في العمل، أو في تصوير الواقع، جذبت الجماهير في كتاباته التي تميزت بأسلوب المرح والدعابة، كما أنها صاحبة وجهات نظر تنظيرية دقيقة، ويعني هذا أنه يعالج موضوعات الحياة اليومية بطريقة غير مباشرة بإضافة إلى الأسلوب الهزلي، لكنه كثيرا ما ينصدم القراء عندما يفهمون قصده من السلوك الإنساني.

وهذا الأسلوب طغى على جميع كتابات كوفمان ''تصوير الحياة الاجتماعية على أنها مسرح''، معتمدا بذلك أسلوب كينت بيرك اتجاه الدراما الاجتماعية، وهذا ما سماه وجهة نظر الدرامية، ولقد سمي كوفمان عالما اجتماعيا دراميا.

بعد كتابته لكتابThe présentation of self in everyday lifeوالتي ذكر فيها مقولته الأساسية هي أن الحياة الاجتماعية تتم من خلال أعمال وطقوس وعادات روتينية يومية، تشبه الأداء المسرحي، إذ أن الناس عندما يتقابلون في المواقف الاجتماعية، فيسعى كل فرد لكي يبرز نفسه ويعبر عنها وذلك بتركيز على السلوكات التصرفات والمواقف التي تحدث، ومدى تأثر الآخرين بهذا السلوك وبمظهر الفرد نفسه من أجل توصيل صورة مقنعة عن ذواتهم إلى الآخرين، وهم بهذا يلعبون أدوار أكروباتية ويشاركون في الألعاب بهدف رفع قيمة الذات، وذلك دون الاعتماد على الأخلاق والاحترام، فهم في نظره يكونون فرقة تمثيلية، أي أنهم لا يأخذون بعين الاعتبار القيم الاجتماعية ولا يحترمونها بل هم يسعون إلى إبراز ذاتهم وإعطائها صورة حسنة ولو كانت على حساب هذه القيم، وفي هذه الحالة يمكن للفرد أن يتحكم بتصرفاته ويسيرها لكسب شفقة الناس، أي أنه ليس على حقيقته فهي شخصية الثانية لهذا الفرد لأن رأي الآخرين يهمه.

وإن المحيط الهادي، الذي يتفاعل فيه الفرد مع الآخرين مهم جدا، وهو ينقسم إلى قسمين وهذا التقسيم كان على أساس أنهم في مسرح.

القسم الأول: الخشبة الأمامية وفيها نقدم هوياتنا العامة للجمهور، وحيث نعرف في أدوار محددة، بإضافة إلى مفردات وملابس وتعبيرات الوجه الخاصة بهذه المواقف.

أما القسم الثاني فهو ''الخشبة الخلفية'' وهي المكان الذي يكون فيه الأفراد على طبيعتهم أو على نقيض هوياتهم العامة التي كانوا عليها في الخشبة الأمامية، فهو مكان خاص يقومون فيه بالتدريب من جديد، ومراجعة الأدوار قبل عودتهم إلى القسم الأول (المسرح). وقد اعتمد كوفمان المنزل مثلا على ذلك بحيث شبه غرفة الضيوف بخشبة الأمامية أما غرفة النوم أو الحمام بالخشبة الخلفية، وفي هذه الأخيرة يمكن لأفراد الأسرة أن يكونوا أنفسهم ويلبوا الاحتياجات الجسمانية، وقد نوه كوفمان إلى أن قد يحدث ارتباك للفرد إذا

أزيلت الحدود بين هاتين المنطقتين مثل أن يدخل شخص ما إلى غرفة النوم دون استئذان كما أنه ذكر موظفين في فندق جزر شيتلاند يتصرفون بطريقة مناقضة في الخشبة الخلفية للمطبخ، على ما يكونوا عليه في الخشبة الأمامية فهم هنا يبدو اللباقة والنظافة والاحترام، أما في الجزء الثاني فيشتمون ويهينون زبائنهم ويبصقون في طعامهم، وهذا ما سماه في كتابه "Stigma" السمة التشخيصية، وعرفها على أنها تعني وجود تناقض بين الهوية الافتراضية والهوية الفعلية للفرد، وهو تعارض نفسه بين الذات التي نعرضها أمام الآخرين والذات التي نعتقد أنها ذاتنا الفعلية أو الخشبة الخلفية.

وقام كوفمان من خلال السلوك في الأماكن العامة وطقس التفاعل بتصنيف استراتيجيات تمثيل الذات والمستخدمة في الحياة اليومية، إن التلاقي الاجتماعي هو نموذج للتفاعل المقصود الذي يقع بين شخصين، لديهما نفس وجهة النظر، بينما يتحقق التفاعل غير مقصود عندما يتصادف أن يوجد أفرادا معا، وقد تطرق غوفمان في كتاب السلوك في الأماكن العامة إلى نموذجين السابقين بإضافة إلى دور الجسم أي ردات الفعل مثال تلاقي مقصود، في حفلة ترى الأفراد يقفون بالقرب ممن يرغبون في التفاعل معهم أما كتابه طقس التفاعل، وتمثل هذا في مجموعة من دراسات وعلى سبيل المثال الارتباك قال أن الناس يقصدون رد فعل معينا لاستعراض الخجل مع ملامح تصلح الموقف. أي أنه يتدارك هذا الخطأ ويعالج لكي يظهر أنه ليس مهما.

وهنا تصبح الحياة بمثابة عملية تفاعل بين مجموعة من الجواسيس التي يهدف كل واحد منهم، أن يقنع الآخرين بأن ما يدعيه هو الحق بعينه، وذلك من خلال النفاذ إلى ذواتهم، إذن ليست الأخلاق هي التي تربط الناس ببعضهم وإنما قدرة الآخر على الإقناع، وهنا يمكن اعتبار الموقف أساس فهم الحياة.

وزيادة على ذلك فقد درس المحادثة التي تتم بين فردين أو أكثر، وقد اعتبر المحادثة نسقا اجتماعيا صغير الحجم، يتضمن قواعدً ونظما خاصة تقوم بتنظيم طريقة وأسلوب التحدث وتمنع تناول المواضيع التي تشوه موضوع المحادثة، واعتبر كوفمان هذه مستلزمات النسق الاجتماعي صغير الحجم، إذ يرى أن المحادثة حقيقة طقسية، تتطلب

من الفاعل احترام المزاج لكي تحفظ علاقة المتحدثين على موضوع معين يهم رغائبهما أو يشغل فكرهما أو شبع مصالحهما، وبعد عرفها حدد لها عناصرها وتتمثل في المزاج والعشرة والإدراك البيئوي.

في العنصر الأول: المزاج فإنه يأتي بتوفر الظروف الملائمة للحديث، يتكثف المزاج وينمو إذا نجحت المحادثة بينهما ويجف إذا فشلت، بإضافة إلى أنه يتطلب التركيز والانتباه.

أما العنصر الثاني: العشرة، أي أن الأفراد القريبين منك الذين تستطيع الحديث معهم في مواضيع تخصكم، والتي تشمل مصالحهم.

أما العنصر الثالث: الإدراك البيئوي، أي الوضعية التي يكون فيمها المتحدثين مثال وجها لوجه، أو ظهرا لظهر، لأن وضعية جلوس تدل على اهتمام كل فرد بآخر.